مفهوم السلطة القاهرة وأحكام المقهورين فـــي القرآن الكريم - وقائع وعلاجات

د. عبد اللطيف محمد امحمد المعرفـــــي*
د. يوسف محمد عطية ديـــــــرة
قسم الدراسات الإسلامية ، كلية التربية قصر بن غشير جامعة طرابلس، ليبيا .
تاريخ الارسال 2025/10/11م تاريخ القبول 2026/1/24م
https://doi.org/10.66045/xii.dssa2009

The Concept of Oppressive Authority and the Rulings Concerning the Oppressed in the Holy Quran – Realities and Remedies

Dr. Abdul Latif Muhammad Amhamed Al-Ma'arifi*
Dr. Yousef Muhammad Atiya Dira
Department of Islamic Studies, Faculty of Education, Qasr Bin Ghashir, .University of Tripoli, Libya

Summary:
Authority: The ability of a specific individual or organisation to direct, influence or impose patterns of behaviour or change the course of events on other individuals or subjects, which is contrary to the principle of cooperation. Authority as a term encompasses most cases of leadership and oppression: [singular] source of oppression, oppresses, so he is oppressive and oppressive, and the object is oppressed, and the oppressive: one of the beautiful names of God, meaning: the one who breaks the backs of his enemies with death and humiliation. The title and substance of this research were inspired by the stories of the Holy Qur'an and its interpretations. This research traces some types of oppression based on events recorded in the Holy Qur'an and concludes that issues of oppression have swept and continue to sweep across all human beings, regardless of their diverse identities and races, and that it is a phenomenon that encompasses all classes.
Keywords: authority , oppression , persecution , displacement ,

حقوق النشر © للمؤلف/للمؤلفين 2025. ينشر هذا البحث بموجب رخصة المشاع الإبداعي Creative Commons (CC BY-NC 4.0)

الملخّـــــــــص:

السلطة: قدرة فرد معين، أو منظمة، على التوجيه أو التأثير أو فرض أنماط سلوكية أو تغيير مسار الأحداث على أفراد آخرين أو محكومين، وهي مناقضةٌ لمبدأ التعاون، والسلطة كمصطلح يشمل غالبية حالات القيادة، والقهر: [مفرد] مصدر قَهَرَ، يقهرُ قهراً، فهو قاهرٌ وقهَّار والمفعول به مقهور، والقهّار: اسم من أسماء الله الحسنى، ومعناه: الذي يقصم ظهر الجبابرة من أعدائه بالإماتة والإذلال، **وقد** أُستوحيَ عنوان البحث وصلبه من قصص القرآن الكريم وتفاسيره، وقد تضمن هذا البحث تتبع بعض أنواع الاضطهاد وهو مبني على الحوادث التي سجلها القرآن الكريم،

ونخلص إلى أن قضايا الاستضعاف قد اجتاحت وما زالت تجتاح جميع البشر على اختلاف هوياتهم واجناسهم المتعددة والمتنوعة وهي ظاهرة شمولية لكافة الطبقات .

الكلمات المفتاحية : السلطة ، القاهرة ، الاضطهاد ، التهجير ،

المقدمـــة:

يعتبر القهرُ أصلٌ لكلِّ شرٍّ ومن هذه الشرور "الاضطهاد"؛ حيث يعيش الإنسان مقهوراً في عالمٍ من العنفِ المفروضِ سواءً من الطبيعةِ التي تسيطرُ عليه بكوارثها المتتالية، أو قهر الآخر الذي قد يكون حاكما أو شريكا متسلطا؛ حيث يغذي لدى المقهُورِ العديدَ من المشاعر والأفكار والتصرفات فينعدم عنده الشعور بالأمان، ويسيطر عليه الإحساس بالعجز في التحكم في مصيره، مما يجعله يلجأ إلى محاولات للسيطرة على وضعيته وإيجاد حلول معينة لها[1].

مشكلة البحث وتساؤلاته:

نحن اليوم في أمس الحاجة إلى معرفة أسباب الاضطهاد التي تجعل من فرد من نفس الجنس يضطهد فردا أو جماعة من نفس الجنس بسبب نوازع قبلية أو دينية أو سياسية للاستحواذ بفكر معين أو لفرضه وقد ظهر الاضطهاد منذ بدء الخليقة عندما اضطهد أحد ابني آدم أخاه من أجل الاستحواذ على غرض دنيوي وصل به الأمر إلى قتله عندما لم يأتمر بأمره، واستمر هذا الاضطهاد إلى يومنا هذا مشحون بضغائن فردية وجماعية تحمل في طياتها التعصب حتى أصبح العدو يتخذها سبلا لتفريق المسلمين وأهل البلد الواح مما يضعف قوتهم ويسهل التحكم بهم وبثرواتهم وهذا الأمر إذا استمر تأجج مما سيؤدي إلى تفرق الأمة وضعفها وهذا يدفعنا إلى طرح التساؤلات التالية:

ماهي ظواهر الاضطهاد التي ذكرها القرآن الكريم في قصصه؟ وما أسبابها؟ وما

نتائجها وكيفية علاجها؟ وما الآثار المترتبة عليها.

الدراسات السابقة:

من المعلوم أنَّ الفقهاء والكتاب القدماءِ قد بثوا في كتبهم كثيرا من حالات الاضطهاد التي حدثت عبر الأزمنة المختلفة ومن هذه الكتب والتي اعتمدنا عليها في تتبع حالات الاضطهاد والقهر:

ـــ أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي(ت1393هـ).

ـــ بلوغ المرام من أدلة الأحكام، ابن حجر أحمد بن علي بن محمد العسقلاني(ت852هـ).

ـ التحرير والتنوير محمد الطاهر بن عاشور.

ـ تفسير القرآن العظيم (تفسير ابن كثير)، عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن عمر ابن كثير (ت 774هـ).

ـ جامع البيان عن تأويل آي القرآن (تفسير الطبري)، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري (ت 224 - 310هـ).

وقد أفرد العلماء المعاصرين كتبًا في هذا المضمار قائمة على تتبع أنواع الاضطهاد التي مرت على

المضطَهَدِينَ المستضعَفِينَ والتي ذُكرت في القرآن الكريم، والقياس عليها لبيان أسبابها والمعالجات القرآنية

التي تعمل على الوقاية منها، أو علاجها عند وقوعها أو تخفيفها، وكذلك الاعتبار بما حدث منها:

ـ التخلف الاجتماعي (مدخل إلى سيكولوجية الإنسان المقهور)، مصطفى حجازي.

ـ قصة الاضطهاد الديني في المسيحية والإسلام توفيق الطويل.

ـ الاضطهاد الديني في الفكر المسيحي منذ قسطنطين الأول حتى نشأة محاكم التفتيش المقدسة، طارق بوسيفة (يرصد أهم محطات الاضطهاد الديني والعقائدي في الفكر الديني المسيحي في الفترة المذكورة).

ـ اللجوء والاضطهاد (اللاجئون الفلسطينيون في العراق 1948م ــ 2010م) ناهض خميس زقوت.

خطة البحث:

قسمنا هذا البحث إلى مقدمة وتمهيد ومبحثين وخاتمة وهوامش:

تضمن هذا البحث تتبع بعض أنواع الاضطهاد وهو مبني على الحوادث التي سجلها القرآن الكريم، وعليها بني المبحث الأول والثاني، وتضمنت بعض الحوادث التي وقعت في عصور مختلفة ومعالجات القرآن والسنة، والمباحث تعكس عنوان البحث.

تمهيد:

السلطة: هي قدرة فرد معين، أو منظمة، على التوجيه أو التأثير أو فرض أنماط سلوكية أو تغيير مسار الأحداث على أفراد آخرين أو محكومين، وهي مناقضةٌ لمبدأ التعاون، والسلطة كمصطلح يشمل غالبية حالات القيادة.

القهر: [مفرد] مصدر قَهَرَ، يقهرُ قهراً، فهو قاهرٌ وقهَّار والمفعول به مقهور، والقهّار: اسم من أسماء الله الحسنى، ومعناه: الذي يقصم ظهر الجبابرة من أعدائه بالإماتة والإذلال: ويطلق على عدة معاني منها(انتصر، كسر، غلب، هزم، ظفر)[2] أي أجبر شخصا على غير إرادته قسراً، وهو ضغط يفرض على فرد أو جماعة للقيام بنشاط معين ضد إرادتهم، وعندما يسيء الفرد أو المجموعة استخدام سلطتهم يتعرض الآخرون للضرر والإساءة والاستغلال، قال تعالى: ﴿ **فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ**﴾[3] ومرادفات كلمة القهر كثيرة منها (الاذلال، الاجحاف، الإخضاع، الإخناع، الإرغام، الازدراء، الاستحقار، الاستعباد، الاضطهاد، الإكراه، التعسف...).

وتطبقُ السلطةُ القهرَ استنادا إلى قوة اجتماعية أو سياسية معينة، وقد يكون حقيقيا أو وهميا وقد يطبق بشكل مباشر استنادا إلى وجود قوة فعلية (كالتهديد بالقتل أو الحبس أو الخطف)، وقد ينبع من الشرعية التي يمنحها الخاضع للسلطة ولأصحابها مثل الاعتراف بمرجعية معينة (رئاسة أو حكومة) باعتبار الرئيس أو الملك أعلى سلطة في الدولة وعادة ما تكون سلطته سلطة تشريعية، أما السلطة التنفيذية لما يشرّعهُ الرئيس أو الملك فتكون للحكومة أو الحاشية المقربة من الرئيس أو الملك، وعادة ما تكون لرئيس الدولة أو الملك ـ خاصة في العصور القديمةـ سلطةَ التشريعِ وسلطةَ القضاءِ.

ومن هنا يمكن تفسير بعض التصرفات الشائعة في المجتمعات، والتي تدور حول محاولة اتقاء شر القوى القاهرة المتسلطة بالتعلق بالغيبيات وانتشار ثقافة الرضا بالمقدر والمكتوب، وتفشّي ظاهرة النفاق والتزلف حيث أن العالم الذي يعيش فيه الإنسان المقهور عالم بلا رحمة والعقاب الصارم حاضر إن فكر في التمرد أو المواجهة[4].

ومـن خـلال تتبـع آيـات القـرآن الكـريم وجـدنا أن الاضـطهادَ والقهـرَ يكونـانِ بـين مجموعتين (فرد ضد مجموعة، أو فرد ضد فرد، أو مجموعـة ضـد فـرد) فجهـةٌ قويـةٌ مضطهِدة؛ أي فاعلـة للقهرِ، سـواء كـانوا أفـرادًا أو سـلطة سياسـية أو قبيلـة أو طائفـة اجتماعية أو دينية، وأخرى مضطَهَدةٌ تتلقى أوجـاعَ الاضـطهادِ يقـع عليهـا الاضـطهاد والقهر الذي يتولد منه الاكراه والتعذيب والالزام بما لا يرغب فيه.

وقـد ارتأينـا أن يكـون عنـوان البحـث وصـلبه نـابع مـن مفهـوم السـلطة القـاهرة والاضطهاد لفظاً ومعنى مستوحاً من القرآن الكريم وتفاسيره، فـالعنوان مستوحاً مـن آيات القرآن الكريم التي تصف حالات القهر والمقهورين، ومثاله قهـر سـلطة فرعـون في مصر القديمة للمستضعفين مـن بنـي إسـرائيل، قـال تعـالى: ﴿**قَـالَ سَنُقَـتِّلُ أَبْنَـاءَهُمْ وَنَسْـتَحْيِي نِسَـاءَهُمْ وَإِنَّـا فَـوْقَهُمْ قَـاهِرُونَ**﴾[5] كـذلك مضـامين البحـث مسـتخرجة مـن نصوص القرآن وشروح التفاسير.

وقد تضمن هذا البحث الذي بين أيدينا تتبع بعض أنـواع الاضـطهاد وهـو مبنـي علـى الحوادث التي سجلها القرآن الكـريم، وعليهـا بنـي المبحـث الأول والثـاني، وتضـمنت بعض الحوادث التي وقعت في عصور مختلفة ومعالجـات القـرآن والسـنة، والمباحـث تعكس عنوان البحث.

المبحث الأول ـ مشاهد القهر والاضطهاد كما صورها القرآن الكريم:

حَفِلَ القرآن الكريم بمشاهد كثيرة ذكر فيها قضـايا الاضـطهاد والقهـر وصـوره مـن خلال قصصه وسيَر الأمم نذكر فيما يلي مجموعة منها:

المشـــهد الأول ـ القهر الخارجي بين الأمم:

ويكون بين أمتين متجاورتين تسكنان في محيط بلد واحد بينهما اختلاف في العـرق أو الديانة أو هما معاً؛ ومثاله بالقرآن مـا فعلـه فرعـون وحاشـيته بأمـة بنـي إسـرائيل، باعتبـارهم أمـة مغـايرة مهـاجرة بسـبب عامـل القحـط والجـوع سـكنت أرض القـبط المصرية، فتعرضت للاضطهاد والقهر والاذلال والتعذيب من قبل الفرعون وحاشيته، قال ـ تعالى ـ محدثا بني إسرائيل ﴿ **وَإِذْ نَجَّيْنَٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ ۚ وَفِي ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ** ﴾[6].

ذكر المفسرون: أن فرعون رأى رؤيـا فقـام منهـا فزعـاً، فجمـع المعبّـرون للرؤيـا لتفسير رؤياه، فقال له أحدهم: أنه سيولد من بني إسرائيل مولود ذكر تكون نهاية ملكك على يديه، فأمر بأن لا يولد لبني إسرائيل مولودا ذكرا إلا ذُبح، فأشار عليه أحدهم أنـه إذا قَتل ذكورَ كل بني إسرائيل فلن يكـون هنـاك خـدم يخـدمون، فـأمر أن يُـذبَحوا سـنةً

ويُتركوا سنة، فوُلد في السنة التي لا يذبحون فيها نبيَّ الله هارون ـ عليه السلام ـ فتُرك، أما في السنة التي يذبحون فيها فولد سيدنا موسى ـ عليه السلام ـ وقصة تبني فرعون له معروفة ليرفع الله به اضطهاد فرعون وقومه لبني إسرائيل في قصة رواها القرآن الكريم في سرد رائع ماتع.

المشهد الثاني ـ قهر الرعية المخالفين:

وقد يتعدى الاضطهاد بالتعذيب والقتل إلى طائفة هي من مكونات الدولة والأمة نفسها، ومثاله: اضطهاد فرعون للسحرة المؤمنين بعد إيمانهم وخروجهم عن السلطة الدينية للدولة، قال الله ـ تعالى ـ : ﴿ **قَالَ فِرْعَوْنُ ءَامَنتُم بِهِۦ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْۖ إِنَّ هَٰذَا لَمَكْرٌ مَّكَرْتُمُوهُ فِي ٱلْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُواْ مِنْهَآ أَهْلَهَاۖ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ** ﴾[7] فقد أمرت سلطة الدولة القاهرة بصلب وتقطيع أطراف المعارضين عقديا لنهج الدولة العقدي، فذكر الله تعالى في القرآن الكريم العقوبات الثلاث التي أمر بها فرعون قال الله تعالى على لسان فرعون: ﴿ **لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ ثُمَّ لَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ** ﴾[8]، ﴿**قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبْنَآءَهُمْ وَنَسْتَحْيِۦ نِسَآءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَٰهِرُونَ**﴾[9].

المشهد الثالث ـ القهر في المكون الاجتماعـــــي:

يشير القرآن الكريم إلى أن الاضطهاد وسياسة القهر كما تقع من الأباعد أيضا تقع من الأقارب عرقا وجنسا داخل القبيلة أو الأسرة الواحدة، وقد سجل القرآن الكريم عدة مشاهد منها اضطهادُ وقهر قوم شعيب لنبي الله شعيب ـ عليه السلام ـ وهو قهر جماعة لفرد من ضمن الجماعة القبلية المترابطة برابطة الدم والانتساب، كذلك سجل حوادث مماثلة للاضطهاد والقهر الواقع في نطاق الأسرة كما فعل (آزر) بابنه إبراهيم ـ عليه السلام ـ عندما هدده بالرجم **بقوله ﴿لَأَرْجُمَنَّكَ﴾** قال تعالى على لسان آزر: ﴿ **لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَۖ وَٱهْجُرْنِي مَلِيًّا** ﴾[10]. وقد لاقى إبراهيم الأذى والتعذيب من والده بمجرد دعوته لأبيه بإصلاح نفسه مع الله والناس، قال تعالى على لسان إبراهيم ناصحا لوالده: ﴿ **يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنكَ شَيْـًٔا ۝ يَٰٓأَبَتِ إِنِّي قَدْ جَآءَنِي مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَٱتَّبِعْنِيٓ أَهْدِكَ صِرَٰطًا سَوِيًّا ۝ يَٰٓأَبَتِ لَا تَعْبُدِ ٱلشَّيْطَٰنَۖ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ عَصِيًّا ۝ يَٰٓأَبَتِ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَٰنِ وَلِيًّا** ﴾[11] فصرخ أبوه في وجهه قائلا: ﴿ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ ءَالِهَتِي يَٰٓإِبْرَٰهِيمُۖ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَۖ ﴾[12] يعني بالحجارة، وعاقبه مباشرة بالطرد والاعتزال فقال ﴿ وَٱهْجُرْنِي مَلِيًّا ﴾[13] أي: اعتزلني، وهذا النوع من القهر والعقوبات كما يصورها القرآن يكون بين أفراد الأمة الواحدة بين ساسة ومحكومين، أو أفرادٍ متساكنين يشكلون هوية واحدة، أو

شعبٍ واحد، أو عرقٍ واحدٍ، وبين أفراد وجماعات ذوو أرحام وأصول متقاربة، وليست الأسر والعوائل بمنأى عن ذلك في محيط الأسرة وداخل البيت الواحد

وقد جاء القرآن بمشاهد عديدة سيأتي تفصيل بعضها، ونوعية العقوبات المستهدفة لها من أعلاها إيلاما إلى أدناه ضررا كالرجم لأجل الاعتقاد المخالف لقيم الأسرة الجاهلية الموروثة، مع ملاحظة غياب الشفقة الأبوية التي مَنعت العاطفة الأبوية من الحيلولة دون إيقاعها بسبب تمكن العقائد الجاهلية أو الموروثات المترسخة في عقول الكثير منهم.

ويلاحظ في أغلب حالات القهر والاضطهاد الديني انقطاع التواصل العاطفي؛ حيث تتفكك نوازع الرحمة بسبب وجود العقائد الموروثة المكتسبة من الفكرة المقدسة الخاطئة التي تحارب كل من خالفها ولا تُعير للرحمة وروح التسامح أي اهتمام؛ ومن مثاله ما لفت إليه القرآن في أبشع مراتب القهر والجرم؛ وهوما يفعله الآباء في الجاهلية من قهر الصغار المواليد وذلك بقتل ودفن بناتهم وهن أحياء دون شفقة أو رحمة؛ مخافة العار ترسيخا للموروث الجاهلي، قال- تعالى - : ﴿**وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ بِأَيِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ**﴾[14]؛ الموءودة: هي الطفلة الصغيرة، التي كان أهل الجاهلية يدسونها في التراب بفعل موروث جاهليّ كراهةً لجنس البنات، فيوم القيامة تسأل الموءودة بأي ذنب قُتلت، ليكون ذلك تهديدا وحسابا لقاتلها، كما سيسأل المقتول عمن ظلمه وقتله وحرمه من حق الحياة.

ولأهمية محاربة موضوع الوأد والتأكيد على جُرْمِيَّتِهِ وشناعته لما له من أضرار اجتماعية ودينية؛ أعاد القرآن الكريم الوقوف على ظاهرة ظلم المواليد بالوأد والتفريق بينهم في المعاملة أكثر من مرة، واستبشع سلب الحق في الحياة والعيش، وتوعد فاعلها في آيات عدة منها قوله – تعالى - : ﴿ **وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِٱلْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ يَتَوَٰرَىٰ مِنَ ٱلْقَوْمِ مِن سُوٓءِ مَا بُشِّرَ بِهِۦٓ أَيُمْسِكُهُۥ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُۥ فِى ٱلتُّرَابِ أَلَا سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ**﴾ [15]، وصوَّر القرآن فعلهم الشنيع في كيفية وطريقة القتل وهو الدفن ﴿ أَمْ يَدُسُّهُۥ فِى ٱلتُّرَابِ﴾ أي: يئدها[16] وهو: أن يدفنها حية في رمال الأرض، ومعنى (دسَ) في اللغة: أخفى وأدخل، ومن معانيه: إخفاء الشيء بين أجزاء شيء آخر كالدفن والمراد هنا: (الدفن في الأرض)[17]، وقد روي أيضا: أنه كانت المرأة في الجاهلية إذا حملت حفرت حفرة وتمخضت على رأسها، فإن ولدت جارية رمت بها في الحفرة وردت التراب عليها، وإن ولدت غلاما حبسته وأبقته حيا بخلاف الأنثى[18].

وشناعةُ حالات الاضطهاد والقهر ونتائجهِ الكارثية تحفِّز إلى الجدِّ في البحث عن جذور القهر والاضطهاد ووسائله ومبرراته، سواء كان اضطهادا بدافع عوامل فكريةٍ، أو اجتماعيةٍ، أو عقدية متعسفة ممزوجة بمبررات جاهلية واهية تفتقد المنطق والحس السليم، كقتل المولود خشية الفقر، أو خوف أن تجلب العار عندما تكبر وتشبَ، قال تعالى: ﴿**قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ قَتَلُوٓاْ أَوْلَٰدَهُمْ سَفَهَۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَّمُواْ مَا رَزَقَهُمُ ٱللَّهُ ٱفْتِرَآءً عَلَى ٱللَّهِۚ قَدْ ضَلُّواْ وَمَا كَانُواْ مُهْتَدِينَ**﴾[19].

هذا الاضطهاد الذي نبّه إليه القرآن الكريم عادة ما يقع في الأسر بسبب موروث القبيلة أو الصبغة الدينية الجاهلية، وقد عمل الوحي القرآني على بيان هذا النوع من القهر وأهم مبرراته الواهية وذم فاعله ومقترفه ووصفه بالسفه، يقول الشيخ الطاهر بن عاشورفي تفسيره[20]: وكان أهل الجاهلية يفعلون ذلك خشيةَ إغارة العدو عليهم فيسبي نساءهم فتصبح سبايا تجلب العار، ولخشية الإملاق في سنينِ القحط؛ لأن الذكرَ يحتالُ للكسب بالغارة وغيرها والأنثى عالة على أهلها في نظرهم، وإذ قد فشا فيهم كراهية ولادةِ الأنثى فقد نما في نفوسهم بغضها، فتحركت فيها الخواطر الإجرامية، فالرجل يكره أن تولد له أنثى لما تقدم، وامرأته تكره أن تولد لها أنثى خشيةً من فراق زوجها إياها لولادتها الأنثى، وقد توارثت أكثر الأمم هذا الجهل على تفاوتٍ بينهم فيه، ومن كلام بعضهم وقد ماتت ابنته (نِعْمَ الصِّهرُ القبرُ)[21].

وقد سفه القرآن الكريم المبرراتِ الباطلةِ الدافعةِ للقتلِ والقهرِ والتي من ضمنها قتل الأولاد خوفا من الضرر المتوهم وهو الإملاق، الذي يعني الإصابة بالفقر، أو خشية أن يحصل لهم عوز في المال، وقد نهاهم الله عن السلوك المفضي إلى جرائم متعلقة بقتل أولادهم، والذي يعتبر مفسدة لنظام الأسرة القائم على التراحم والتواد وإكثار النسل.

ونبّـــه القرآن الكريم إلى حالاتِ قهرٍ أخرى يخلقها الاستضعاف تكون على مستوى القبيلة؛ كحالة نبي الله شعيب ـ عليه السلام ـ؛ حيث سعت قبيلته إلى رجمه لاستضعافهم إياه لأنه كان يسفه كثيرا من أفعالهم وينصح لهم، قال تعالى على لسان قوم شعيب: ﴿ **قَالُواْ يَٰشُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيرًا مِّمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَىٰكَ فِينَا ضَعِيفًاۖ وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَٰكَۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ** ﴾[22]، وكحالة إبراهيم عليه السلام مع أبيه قال تعالى على لسان آزر: ﴿ **لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَۖ وَٱهْجُرْنِي مَلِيًّا** ﴾[23].

وصوَّر القرآن الكريم علاقة الضعيف بالمتجبر القوي من خلال خطاب الأقوياء له ﴿ **وَإِنَّا لَنَرَىٰكَ فِينَا ضَعِيفًاۖ** ﴾ يعني: ذليلا، أي قليل النصرة، فأنت ذليل ضعيف، ثم

صرحوا ﴿ **وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَٰكَ وَمَآ أَنتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ**﴾ أي لـولا قومك وعشيرتك، ولولا معزَّةُ قومك علينا لرجمناك بالحجارة، أي أنت غير ذي قوة ولا منعة، وأنت ضعيف لا تستطيع المدافعة عن نفسك من عقوبة الرجم بالحجارة[24].

فالاضطهاد والاستضعاف ليست ظاهرة نادرة أو وليدة، بل هي حالة متجذرة قديما وحديثا، فقد يكون من أعلى مستوى في سلطة الدولِ، أو الممالكِ، أو المجتمعات الصغرى في نطاق الأسر أو القبائل، أو بين أفراد المجتمع الواحد، أو صادرة من قرارات سياسية يتم تفعيلها في سياق البغي والظلم لا تخضع لمبرر شرعي أو منطقي، أو بين قبيلة وأخرى، أو بين دولة ودولة؛ كما يحدث الآن ضد الشعب الفلسطيني لعدم منعة العرب وضعفهم وتسلط الدول الكبرى عليهم.

وقد أشار القرآن إلى حالات أخرى مختلفة أقل عنفا ودموية، وهو الاضطهاد والإكراه والتهديد على ممارسة الجنس والفاحشة قهرًا فقد ذكر القرآن الكريم مجموعة من النساء يكيدون لرجل لإرغامه على فعل الفاحشة غصبا وتهديدًا قال تعالى: ﴿**قَالَتْ فَذَٰلِكُنَّ ٱلَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِۖ وَلَقَدْ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ فَٱسْتَعْصَمَۖ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَآ ءَامُرُهُۥ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِّنَ ٱلصَّٰغِرِينَ**﴾ [25]، ذكر أهل التفسير أن المرأة الغاصبة المهددة ليوسف ـ عليه السلام ـ بفعل الفاحشة هي امرأة مقربة من السلطة الحاكمة حيث تقول: ولئن لم يطاوعني على ما أدعوه إليه من حاجتي إليه ليسجنن وليحبسن وليكونن من أهل الصَّغَارِ والذلة فيحبس ويسجن عقوبة[26].

ويشير القرآن إلى أن جميع حالات القهر تستخدم فيها أساليب العنف والترهيب والتهديد المتفاوتة الدرجة وليست على درجة واحدة من الأذى؛ بداية من الرجم، إلى الصلب وتقطيع الأطراف، إلى ممارسة التهديد بالأذى، والسجن، والحبس، والإحراق، كما سيأتي في مبحث أدوات القهر.

والجدير بالذكر هنا أن الروابط الاجتماعية مثل رابطة الدم والأبوة والأمومة تنعدم عند المُكْرِهِ عند حدوث حالة القهر؛ كحالة الموءودة مع أبيها، أو حالة الأبوة مع البنوة فيما حدث بين إبراهيم ـ عليه السلام ـ وأبيه، أو حلة الإخوة مع أخيهم كما حدث لسيدنا يوسف ـ عليه السلام مع إخوته، حيث تعرض في صغره للقهر والاستضعاف بمحاولة قتله من قبل إخوته ثم بيعه كسلعة في سوق العبيد وتغريبه عن وطنه وأهله قصرا فكيد إخوته أدى لاحقا إلى اعتباره عبدا وخادما، مملوكا لعزيز مصر، في بلد الغربة مصر، حيث تسلطت عليه امرأة العزيز التي حاولت أيضا قهره وغصبه على الفاحشة، وقد ذكر القرآن حالات مشابهة كحالة استعمال الأفراد والخدم في الجنس

والتمتع والترفّه بالأنثى غصبا في الدعارة والبغاء، أو لكسب المال وجلبه للسادة رغبة بالمتاجرة بهن، كما أخبر القرآن في قوله - تعالى: ﴿ **وَلَا تُكْرِهُواْ فَتَيَٰتِكُمْ عَلَى ٱلْبِغَآءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لِّتَبْتَغُواْ عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَمَن يُكْرِههُّنَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ مِنۢ بَعْدِ إِكْرَٰهِهِنَّ غَفُورٌ رَّحِيمٌ**﴾[27].

ونستخلص من ذلك أن القرآن الكريم أشار إلى أن حالات القهر والإكراه والتسلط قد لا تمنعها الرابطة الاجتماعية والانتماء وقرابة الدم وكثيرا ما تحدث من أقرب الأقرباء مثل الوالدين أو في المجتمعات التي تحكمها الطبقية أو المصالح الملحة لاستغلال العبيد والخدم والعمال داخل البيوت والشركات والمؤسسات مع السادة المتحكمين وأرباب العمل، ومن البديهي أن يكون القهر نابعا من أساليب تجعل من المقهور مقهوراً حيث يتعرض المقهور لأساليب ومعاملات أولها الكبت والحرمان من التصرف في نفسه وممتلكاته بحرية، فينمي عنده عدم الرضا بالذات حتى يفقد الثقة بنفسه ويذعن للآخرين الذين يمثلون في نظره المعرفة والقدرة على تسيير الأمور، فيتولد لديه الإيمان الجازم بقوة القاهرين وعندما يحاول بعض المقهورين التحرر من هذه الأفكار يجابه بأنواع وأساليب وحشية في التعامل معه.

المبحث الثاني ـ الصور والأساليب الوحشية في معاملة المقهورين:

لم يغفل النص القرآني ذكر بعض الصور والأساليب الوحشية في معاملة المقهورين والمستضعفين سواء بالإكراه الديني العقدي، أو الاجتماعي، أو القائم على المبررات الاقتصادية خشية الفقر، أو بالاسترزاق بضعفاء البشر في الدعارة والفاحشة، التي تبدأ من إيقاع الضرر الأدنى والأقل إيلاما إلى الأعلى والأكثر بشاعة ووحشية، فقد ذكر القرآن الكريم العديد من الصور والأساليب الوحشية التي وقعت ضد المقهورين منها:

الصـــــورة الأولى ـ التهجير القســـــري:

وهو إرغام المضطَهَدِينَ على ترك أوطانهم قسرًا بالطرد أو التضييق عليهم، وحرمانهم من العيش فيها عقوبة لهم وردعا وعبرة لغيرهم، وقد ورد هذا النوع من الاضطهاد في نصوص عديدة بلفظ (الإخراج) بمعنى الطرد من الوطن، قال تعالى على لسان قوم شعيب : ﴿ **قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُواْ مِن قَوْمِهِۦ لَنُخْرِجَنَّكَ يَٰشُعَيْبُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا ۚ قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَٰرِهِينَ** ﴾[28]، وهي سنَّة عامة تلزم أهل القهر والشوكة، وقال - تعالى- : ﴿ **وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُم مِّنْ أَرْضِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا ۖ فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ** ﴾[29] فقد أخبر سبحانه

وتعالى عما توعدت به الأمم الكافرة رسلهم من الإخراج من أرضهم، والنفي من بين أظهرهم[30]، وهو ما يفهم عندنا واصطلح عليه حديثا بالتهجير، أي تهجير الأفراد الغير مرغوبٍ فيهم سياسيا أو دينيا أو عرقيا، وقد يقع على جماعة معينة أو حتى على شعبٍ بأكمله؛ فيتم تهديدهم أو ترحيلهم قسرا وكرها من أوطانهم؛ كإخراج النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ إلى شعب الجبال، أو التضييق عليهم حتى يخرجوا من أوطانهم كهجرة النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ إلى يثرب بعد أن ضاقت بهم مكة وأهلها، وكحال الشعب الفلسطيني الذي أخرج من أرضه غصبا وقهرا لصالح جماعة يهودية جُمعت من شتات الأرض بمزاعم دينية، وقد اهتم القرآن في آيات عدة ذكر أسلوب التهجير منها:

1 ـ تهجير الأفراد:

قال تعالى إخبارًا عن حال مشركي قريش مع النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ: ﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ ۚ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ﴾[31] وقال تعالى: ﴿وَإِن كَادُواْ لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ ٱلْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا ۖ وَإِذًا لَّا يَلْبَثُونَ خِلَٰفَكَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾[32]، والمقصود بالاستفزاز في الآية: الحمل على الترحيل، وهو استفعالٌ من لفظ (فزَ) بمعنى بارح المكان[33] أي: كادوا أن يسعوا أن تكون فازا، أي خارجا أو مطرودا من وطنك مكة[34].

2 ـ تهجير الأسر والعائلات:

ومثاله ما فعله قوم لوط بآل نبي الله لوطٍ ـ عليه السلام ـ قال الله تعالى على لسانهم: ﴿أَخْرِجُوٓاْ ءَالَ لُوطٍ مِّن قَرْيَتِكُمْ ۖ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ﴾[35] حيث اعترض سيدنا لوطٍ على عرف البلد في استباحة جرائم المثلية، بتشريع اللواط في الغرباء والضيوف والمردان من الفتيان ذوي الهيئة الجميلة، قهرا وطوعا وإغراءً بالمال وغيره، واستخدامهم في المتع والدعارة المثلية والفواحش الجنسية، مبتعدين على الفطرة وما أحلَّ الله لهم من معاشرة النساء المحللات لهم بالطريقة الشرعية، والتَّعدّي بتشريع المثلية، فكان مصير سيدنا لوط عليه السلام التهديد بالتهجير بسبب استنكاره لفعلهم النجس الذي ينافي الفطرة قال تعالى: ﴿ وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ ٱلسَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ ٱلْمُنكَرَ ۖ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِٓ إِلَّآ أَن قَالُواْ ٱئْتِنَا بِعَذَابِ ٱللَّهِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾[36]، فيقول تعالى مخبرا عن لوط لقومه: ﴿ أَئِنَّكُمْ ﴾ أيها القوم، ﴿ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ ﴾ في أدبارهم ﴿ وَتَقْطَعُونَ ٱلسَّبِيلَ ﴾ تقطعون المسافرين

عليكم بفعلكم الخبيث (اللـواط)؛ وذلـك أنـه فيمـا ذُكـر عـنهم أنهـم كـانوا يفعلـون ذلـك ببعضهم البعض وبمن مر عليهم من المسافرين[37] وهم يعرفون نجاسة فعلهم هدا حيث كان تبريرهم لطرد آل لوط أنهم أناس يتطهرون قال تعالى على لسانهم : ﴿وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَخْرِجُوهُم مِّن قَرْيَتِكُمْۖ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ﴾[38].

3 ـ التهجير الجماعي للطوائف الصالحة:

ومنه ما حدث لنبي الله شعيبٍ ـ عليـه السـلام ـ ومـن آمـن معـه؛ فقد ذكـر الله تعـالى تهديدهم له في القرآن الكريم بقوله تعالى على لسانهم: قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُواْ مِن قَوْمِهِۦ لَنُخْرِجَنَّكَ يَٰشُعَيْبُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَاۚ قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَٰرِهِينَ[39].

الصـــــورة الثانيـــــة ـ التهديد بإيقاع العقوبة:

1 ـ التهديد بالسجن: وهو حبس المقهور المضطَهَدِ المظلـوم فـي مكـان ضِـيّقٍ محكم بغيةَ حرمانه من حرية الحركـة والتواصـل الاجتمـاعي، وقـد يرافـق الحـبس التعـذيب والتنكيل، وعادة ما يكون من سلطة قاهرة تمتلك وسائل إقامـة السـجون والتهديـد بهـا، وقد أورد القرآن هذا النوع من التهديد في عـدة آيـات فـي حـالات متنوعـة نـذكر منهـا حالتين: إحداهما ـ التهديد بسـبب الإكـراه العقـدي علـى اعتنـاق ديـن باطـل وخرافـي، والحالة الأخرى ـ الإكراه بالتهديد على ممارسة الدعارة بسبب العامل الشهواني:

الحالة الأولى ـ التهديد بالسجن من أعلى سلطة لتغيير المعتقد: فقـد هـددت السـلطة السياسـية الفرعونيـة موسـى ـ عليـه السـلام ـ بسـجنه وهـي أعلـى سـلطة فـي مصـر الفرعونية من قبل الملك فرعون البلاد، قال تعالى مخبرا عـن تهديـد فرعـون لنبـي الله موسى ـ عليه السلام ـ: ﴿**قَالَ لَئِنِ ٱتَّخَذْتَ إِلَٰهًا غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ ٱلْمَسْجُونِينَ**﴾[40]

ومن الملاحظ أن عقوبة السـجن أخـف الأدوات والأسـاليب المسـتخدمة فـي اضـطهاد المخالفين إذا قورنت بالأساليب البشعة مثل القتل بالصلب حيا، أو التحريـق، أو تقطيـع الأطـراف، كمـا سـيأتي فـي مبحـث الوسـائل والأدوات المسـتخدمة فـي الاضـطهاد والإرهاب.

الحالة الثانيـــة ـ التهديد بالسجن عند الإكراه علـى ممارسـة الـدعارة والفاحشـة: ساق القرآن الكريم الدوافع والوسائل ذات الضغط بالإكراه على فعل غير مرغوب فيه والتخيير بين فعل مرفوض أو إيقاع العقوبة، بل وقد سجل القـرآن هـذا الإكـراه بسـبب التمكين السياسي من قبل المتنفذين المقربين من سـلطة فرعـون وبالتحديـد مـن زوجـة

عزيز مصر لإجبار نبي الله يوسف ـ عليه السلام ـ بممارسة الفاحشة، وهددته إن لم يستجب لهذا الإكراه فسيلقى به في السجن عقوبة وإذلالا وإهانة له، وقد أشار القرآن إلى أن حالة الاضطهاد والإكراه والتهديد التي تعرض لها كانت بشهادة مجموعة من النساء كما ذكر في القرآن الكريم: ﴿ **وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَآ ءَامُرُهُۥ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِّنَ ٱلصَّٰغِرِينَ** ﴾[41]، وهذا التهديد نفِّذ فعلا باعتبار عزيز مصر من وزراء وجلاس الملك الفرعوني أيام استعباد يوسف ـ عليه السلام ـ بمصر وبفعل تهديد زوجة العزيز (زليخة) ورغبة من زوجها في التكتم والتستر على فعلها[42] حتى لاتتهم في شرفها بمحاولة إغواء عبدها قال الله تعالى: ﴿ ثُمَّ بَدَا لَهُم مِّنۢ بَعْدِ مَا رَأَوُا۟ ٱلْـَٔايَٰتِ لَيَسْجُنُنَّهُۥ حَتَّىٰ حِينٍ ﴾[43].

2ـ التهديد بإفقاد الحياة: يرتقي الاضطهاد في بعض الحالات إلى التهديد بإفقاد الحياة وممارسة قتل المعارض الغير مرغوب فيه بسبب أنه تكلم بالحق أو عارض الظلم أو رفض التشريعات الباطلة والخرافية المسلطة قهرا وغصبا على رقاب الأفراد، وهذا ما فعله فئة من بني إسرائيل ـ باعتبارهم جماعة دينية ـ بنبي الله هارون ـ عليه السلام ـ عندما لم يوافقهم في اتخاذ العجل المنحوت من الذهب معبودا يقربهم إلى الله، وقد شكى هارون لموسى ـ عليهما السلام ـ رغبات القوم في الانتقام منه وتهديده بالقتل أو الطرد إذا عارض تعبيد الناس لتمثال منحوت مدعين أنه إله الكون والناس، وقد ذكر القرآن الكريم هذا الموقف بينهما فقال على لسان هارون ـ عليه السلام ـ مخاطبا نبي الله موسى ـ عليه السلام ـ ﴿ٱبْنَ أُمَّ إِنَّ ٱلْقَوْمَ ٱسْتَضْعَفُونِى وَكَادُوا۟ يَقْتُلُونَنِى فَلَا تُشْمِتْ بِىَ ٱلْأَعْدَآءَ ﴾[44] معنى ﴿استضعفوني﴾ : أي لم أكن مهاب الجانب بتوحدهم ومغالبتهم لي[45]، وقوله: ﴿ وكادوا يقتلونني ﴾ يدل على أنه عارضهم معارضة شديدة ثم سلَم لهم بعد تعرضه للتهديد[46].

3ـ التقســـيم الطائفي وزرع الفتن: أشار القرآن الكريم إلى نوع آخر من القهر المشوب بزرع الفتن بين مكونات المجتمع قال تعالى: ﴿ **إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا** ﴾[47] والشيع جمع شيعة؛ والشيعة تطلق على الفرقة و الجماعة و الطائفة و الأتباع والمناصرين، قال الأزهري: (الشيعة أنصار الرجل وأتباعه، وكل قوم اجتمعوا على أمر فهم شيعة)[48]، وقد جعل فرعون أهل بلاد القبط ـ مصر ـ فرقا ذات نزاعات تتشيع كل فرقة إليه وتعادي الفرق الأخرى لتنال رضاه ويأمن هو بذلك تألّبهم عليه كما يقال (فرّق تسد)[49] وهي سياسة لا تليق إلا بالمكر بالضد والعدو، ولا

تليق بسياسة ولي أمر الأمة الواحدة، وقد جعل تفرقهم وتشيعهم باعتبار العنصرية والقبلية والشعوبية[50].

4ـ التهديد بالرجم: هذا النوع من الاضطهاد والتهديد قد يقع داخل نطاق البيوت والأسر؛ فسلطة الأب كثيرا من الأحيان تكون سلطة قهرية كما حدث مع نبي الله إبراهيم ـ عليه السلام ـ مع أبيه المهدد له بعقوبة الرجم قال تعالى على لسان (آزر والد إبراهيم ـ عليه السلام ـ : ﴿ **لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ** ﴾[51]، وهذا اضطهاد يستخدم فيه الرجم بالحجارة؛ وهو الإعدام رميا بالحجارة حتى الموت، وقد أشار القرآن الكريم إلى احتمال إيقاعه من قبل السلطة القاهرة في قصة أصحاب الكهف بسبب أنهم فتية آمنوا بالله ولم يمتثلوا لأمر اعتناق معتقد الوثنية الذي فرضته السلطة الحاكمة القاهرة قال ـ تعالى ـ على لسان الفتية: ﴿**إِنَّهُمْ إِن يَظْهَرُواْ عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَن تُفْلِحُوٓاْ إِذًا أَبَدًا**﴾[52]، فقوله: ﴿ **يرجموكم** ﴾ معناه: القذف بالحجارة، وهو أخبث القتل وأشدها إيلاما وإذلالا وتعذيبا[53]، ومعنى ﴿ أو يعيدوكم في ملتهم ﴾ يرجعونكم إلى الملة التي يعتنقونها والمفروضة على البلد من قبل الحاكم وزبانيته؛ أي لا يخلوا أمركم عن أحد أمرين إما إرجاعكم عن دينكم الذي ارتضيتموه أو قتلكم بالرجم بالحجارة بتسليط سفهاء القوم عليكم[54].

ويلاحظ هنا عند النظر في فحوى الآية تفعيل أدوات الإكراه المتمثلة في التخيير بين السلامة بفعل الأمر المكره عليه والغير مرغوب فيه بسبب الاعتقاد الفاسد، أو العقوبة بسبب اختيار رفض الأمر المطلوب منهم، وقد تعددت قضية التخيير في القرآن الكريم كثيرا منها:

أ ـ تخيير السلطة الحاكمة لنبي الله موسى ـ عليه السلام ـ بين أمرين لا ثالث لهما؛ إما اتخاذ فرعون إلها وعبادته وتنفيذ أوامره، أو تنفيذ العقوبة عليه بالسجن المذلّ، قال تعالى على لسان فرعون مخاطبا موسى ـ عليه السلام ـ: ﴿**لَئِنِ ٱتَّخَذْتَ إِلَٰهًا غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ ٱلْمَسْجُونِينَ**﴾[55].

ب ـ ومنها تخيير زليخة امرأة عزيز مصر لنبي الله يوسف ـ عليه السلام ـ بالتهديد بين السجن أن يكون من الصاغرين أو فعل الفاحشة معها غصبا وقهرا ويحتفظ بمكانته من العز والتوقير، فاختار سيدنا يوسف ـ عليه السلام ـ السجن على أن يغضب الله بفعل الفاحشة، وقد قص علينا الله تعالى تلك الحادثة في أحسن قصص بسرد ماتع فقال تعالى على لسان امرأة العزيز: ﴿ **وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَآ ءَامُرُهُۥ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِّنَ ٱلصَّٰغِرِينَ** ﴾[56].

الاضطهاد الموجه للأقليات:

إن الاضطهاد الموجه للأقليات الدينية المخالفة للسلطة القاهرة بصفة عامة هو ما تتعرض له أقلية ما بسبب العرق أو الدين أو بسبب الخوف السياسي من السلطة؛ كتوقع المسيطرون على البلد حدوث ضرر من هذه الأقلية على هوية البلد أو معتقداته، وقد تكون الأقلية المتوقع منها الضرر المتوهم من مواطني نفس البلد لكن معتقدها مختلف عن المعتقد الرسمي للبلد الذي ترى تلك الدولة وجوب الانصياع له واتباعه من جميع أفراد المجتمع المنتمين لهذه الدولة، وقد ذكر القرآن الكريم أمثلة كثيرة منها ما يلي:

المثال الأول ـ أقلية مقهورة من ضمن مواطني الدولة:

وتتمثل في محنة (أصحاب الأخدود) باعتبارهم مواطنون أقلية اعتقدوا غير معتقد الدولة المنتمين لها وقد قص القرآن الكريم قصتهم فقال تعالى: ﴿ **قُتِلَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡأُخۡدُودِ ٱلنَّارِ ذَاتِ ٱلۡوَقُودِ إِذۡ هُمۡ عَلَيۡهَا قُعُودٞ وَهُمۡ عَلَىٰ مَا يَفۡعَلُونَ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ شُهُودٞ وَمَا نَقَمُواْ مِنۡهُمۡ إِلَّآ أَن يُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَمِيدِ**﴾[57] قال أهل التفسير: أخبر الله عن قوم من الكفار مع ملكهم عمدوا إلى من يقطن معهم من المؤمنين بالله ـ عز وجل ـ فقهروهم وأرادوا أن يثنوهم عن عبادة الله الواحد؛ فلما لم ينصاعوا لهم حفروا لهم أخدودا في الأرض وأججوا فيه نارا، وأعدوا لها وقودا يسعرونها به، وقذفوهم فيها صغارا وكبارا أطفالا ورجالا ونساء وعجزة[58].

المثال الثانـــــي ـ أقلية مقهورة ليست من ضمن مواطني الدولة:

وتتمثل في أقلية مهاجرة من موطنها الأصلي إلى موطن آخر بسبب القحط أو هروبا من حاكم متسلط أو لأي سبب آخر ولم يتجنسوا بجنسية البلد المهاجر إليه، ومثالها هجرة بني إسرائيل إلى مصر وما حدث لهم بأمر من فرعون مصر؛ حيث تمثل الاضطهاد هنا في اضطهاد دولة رسمية لأقلية مجتمعية معينة وجالية وافدة مهاجرة سكنت في نطاق هذه الدولة، حيث يأتي هذا النوع من الاضطهاد بأمر الملك أو رئيس الدولة أو من يقوم مقامهم من سلطات تنفيذية أو دستورية أو قانونية تشرعن قهر واستضعاف هذه الفئة وتعطي الأمر للأجهزة الأمنيَة أو الجيش بتنفيذ هذا القهر والاستضعاف بالتعذيب والتنكيل وغيرها من الأساليب وقد أشار القرآن الكريم إلى صور منها:

الصورة الأولـــى ـ فرض العبودية على الأقلية وتسخيرها في كثير من الأعمال الشاقة والمرهقة: حيث يتم تعبيد الأقلية المستضعفة في أعمال شاقة ومرهقة ومهينة؛

مثل خدمة كبراء الدولة المسيطرة، والخدمة في المزارع والجبال، والزج بهم في الحروب وغيرها لتنمية اقتصاد فئة معينة أو اقتصاد الدولة أو دفع عدو، وعادة ما يزجّ بهم في كل الأعمال المهينة والمذلة والشاقة، ومثاله تعبيد فرعون مصر وطائفته لبني إسرائيل وقد سرد لنا القرآن الكريم في أكثر من موضع كيفية معاملة الفرعون وأجهزته الرسمية مع الأقلية القومية لبني إسرائيل في مهجرهم بمصر القديمة قال ـ تعالى ـ : ﴿ **إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي ٱلْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَآئِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَآءَهُمْ وَيَسْتَحْيِۦ نِسَآءَهُمْ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ**﴾[59].

يقول أهل الأخبار: أن فرعون تجبر في أرض مصر وتكبر وعلا أهلها وقهرهم حتى أقرّوا له بالعبودية[60] ، وغرّته نفسه بأن أعتبر نفسه إلههم الأعلى حيث ذكر ذلك صراحة بقوله ﴿ **فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ**﴾[61]، ﴿ **وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِي** ﴾[62] وقد استنكر موسى عليه السلام على فرعون ذلك في أسلوب تهكم بأن قال ﴿ **وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدتَّ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ** ﴾[63] بعد أن ذكر له فرعون منّته عليه بأن رباه صغيرا وهو من بني إسرائيل فأجاب موسى عليه السلام: بأن ذلك كان بسبب خوف أمي عليّ بسبب استعبادك قومي والبطش بهم وأن تربيتي في بيتك كانت خارجة عن قدرتك[64]، وجوانب هذه العبودية كثيرة ومتعددة ذكرها المفسرون منها:

الصورة الثانية ـ التسخير القسري والمذل في أعمال البناء والزراعة بشكل متعسف مرهق؛ فقد تعرض بنوا إسرائيل لنوعين من الاضطهاد (اضطهاد دنيوي، واضطهاد عقدي) ولم يسلم الضعفاء من أهل الدولة من هذا الاضطهاد فقد نالهم نصيب منه قال تعالى: ﴿ **إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي ٱلْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَآئِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَآءَهُمْ وَيَسْتَحْيِۦ نِسَآءَهُمْ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ**﴾[65]، أي تكبر وتجبر وطغى وجعل القاطنين في دولته أصنافا وطبقات، قد صرف كل صنف فيما يريد من أمور دولته غلبة وقهرا يأمر بتعذيب المعارضين وقتلهم وقد ذكر القرآن الكريم ذلك قال تعالى: ﴿**فَأْتِيَاهُ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْ**﴾[66] ومعنى لا تعذبهم: أي بالسُّخرة والتعب في العمل وذبح الأبناء واستحياءِ النساء، وكانت بنوا إسرائيل عند فرعون في عذاب شديد، يذبح أبناءهم، ويستخدم نساءهم ويكلفهم من العمل ما لا يطيقونه[67].

الخاتمـــــة:

في نهاية البحث نخلص إلى:

1ـ أن قضايا الاستضعاف قد اجتاحت جميع البشر بأجناسهم المتعددة والمتنوعة فهي ظاهرة شمولية لكافة طبقات الافراد من كبار السن والعجزة والضعفاء والمواليد الواقع عليهم الظلم أشار القرآن الى ذكرهم جميعا قال ـ تعالى ـ : ﴿ **وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا**﴾ فأجناس المقهورين هنا ثلاثة أصناف هم (صنف الشيوخ وصنف النساء وصنف الأولاد الصغار)، وقد نُكِّل بهذه الفئات ونالوهم بالعذاب والمكاره في أبدانهم ليفتنوهم عن دينهم، والمستضعف لغة: المعدود ضعيفاً فلا يعبأ بما يصنع به فليس هو في عزّة تُمَكِّنه من إظهار معتقده المرغوب فيه طوعا.

2ـ أن القهر لا يستثني فئة عمرية معينة، ولم يكتف اهل القهر بالعاجزين الكبار بل أصاب أيضا شريحة الشباب، وقد اشار القران الكريم الى الشباب والفتيان المؤمنين اللذين اتخذوا من الكهف مهربا ومخرجا ومقاما ووقاية من جرائم الاضطهاد الديني فرارا من وقوع عقوبة القتل بالرجم فقال تعالى:﴿ **فَأْوُوا إِلَى الْكَهْفِ يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيُهَيِّئْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مِرْفَقًا**﴾ فقوله: ﴿ **يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ** ﴾.

3ـ أن الاضطهاد في أكثر أحواله موجه للأقليات الدينية المخالفة للسلطة القاهرة بصفة عامة.

4ـ الاضطهاد لا يبني الأمم ويعود بالوبال على المضطهد والمضطهد.

بيان تضارب المصالـــح:

يُقر المؤلف بعدم وجود أي تضارب مالي أو علاقات شخصية معروفة قد تؤثر على العمل المذكور في هذه الورقة.

الهوامـــش :

[1]ـ التخلف الاجتماعي مدخل سيكولوجية الإنسان المقهور، المركز الثقافي العربي ص11.

[2] ـ معجم المعاني الجامع (مادة قهر).

[3]ـ الضحى (9).

[4]ـ التخلف الاجتماعي مدخل سيكولوجية الإنسان المقهور، المركز الثقافي العربي ص40.

[5]ـ سورة الأعراف الآية (127).

[6]ـ الأعراف (127).
[7]ـ البقرة (49).
[8]ـ الأعراف (123).
[9] ـ الأعراف (127).
[10]ـ مريم (46)..
[11]ـ مريم (42 - 44)..
[12]ـ مريم (46).
[13] ـ نفس الآية السابقة.
[14]ـ التكوير (8،9).
[15]ـ النحل (58،59).
[16] ـ (وأد) أي قضى عليها مبكرا، يقال (وأد الفتنة في مهدها)، ووأد البنات: دفنها في التراب حية، وأشد من وأد البنات من العرب الصحابي قيس المنقري فقد وأد ثماني بنات، وقد روي أن عمر بن الخطاب قد وأد إحدى بناته في الجاهلية. ينظر: معجم المعاني (وأد)، المستطرف في كل فن مستظرف، دار صادر ـ بيروت لبنان 2000، بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب، محمود شكري الألوسي 3/37، عبقرية عمر 221.
[17] ـ معجم المعاني (دس)، التحرير والتنوير (185/14).
[18]ـ تفسير القرطبي (233/19).
[19]ـ الأنعام (40).
[20]ـ التحرير والتنوير (185/14).
[21]ـ من كلام أهل الجاهلية وقد رواه البعض موضوعا عن النبي صلى الله عليه وسلم، ورواه الشيعة عن علي بن أبي طالب ـ كرم الله وجهه ـ ينظر التنوير شرح الجامع الصغير (الدال مع إلغاء) 4213، نهج البلاغة الخطبة 153، التحرير والتنوير (145/30).
[22] ـ هود (91).
[23]ـ مريم (46)..
[24] ـ تفسير ابن كثير (347/4)، تفسير القرطبي (91/9)، التحرير والتنوير (148/12).
[25] ـ يوسف (32).
[26] ـ تفسير الطبري (86/16)، تفسير القرطبي (184/9).
[27] ـ النور (33).
[28]ـ الأعراف (88)، تفسير الطبري (561/12).
[29]ـ إبراهيم (13).
[30]ـ تفسير ابن كثير (483/4)، تفسير القرطبي (250/7).
[31] ـ الأنفال (30).
[32] ـ الإسراء (76).
[33] ـ (فزَ فزًا): أفزعه وأزعجه؛ يقال فززت عند سماع الصوت، وفزَه عن مكانه: أزاله عنه. معجم المعاني (فز).
[34]ـ التحرير والتنوير (7/9).
[35]ـ النمل (55).
[36]ـ العنكبوت (28،29)، تفسير الطبري - (28/20)

[37]ـ تفسير الطبري (28/20).
[38] ـ الأعراف (82).
[39]ـ الأعراف (88).
[40]ـ الشعراء (29).
[41] ـ يوسف (32).
[42] ـ تفسير الطبري (85/16)، تفسير ابن كثير (384/4).
[43]ـ يوسف (35).
[44]ـ الأعراف الآية (150).
[45] ـ التفسير الكبير تفسير الرازي (15/11).
[46] ـ التحرير والتنوير ـ الطبعة التونسية ـ (117/9).
[47] ـ القصص(4).
[48] ـ
[49] ـ (فرق تسد) مصطلح سياسي عسكري اقتصادي، يعني تفريق قوة الخصم الكبيرة إلى أقسام متفرقة لتصبح أقل قوة غير متحدة مع بعضها البعض مما يسهل التعامل معها. جريدة الشرق 2024/3/30.
[50] ـ التحرير والتنوير ـ الطبعة التونسية ـ (67/20- 69).
[51] ـ مريم (46).
[52] ـ الكهف (20).
[53] ـ تفسير ابن كثير (145/5)، تفسير الطبري (626/17)، تفسير القرطبي (375/10)، التحرير والتنوير (286/15).
[54] ـ تفسير الطبري (345/19)، التحرير والتنوير (286/15).
[55] ـ الشعراء (29)، التحرير والتنوير (12/ 257).
[56] ـ يوسف (32).
[57] ـ البروج (4 - 8).
[58] ـ تفسير ابن كثير (8/ 366).
[59] ـ القصص (4).
[60] ـ تفسير الطبري (516/19).
[61] ـ النازعات (24).
[62] ـ القصص (38).
[63]ـ الشعراء (22).
[64] ـ التفسير الوسيط لطنطاوي (238/10)، تفسير الألوسي (66/19).
[65] ـ القصص (4).
[66] ـ طه (47).
[67] ـ تفسير القرطبي(203/11)، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن لمحمد الأمين الشنقيطي (17/4).

المراجع:

1ـ القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم.
2ـ أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي(ت1393هـ)، دار الفكر، بيروت ـ لبنان، 1415هـ ـ 1995م.

3- بلوغ المرام من أدلة الأحكام، ابن حجر أحمد بن علي بن محمد العسقلاني(ت852هـ)، تحقيق عبد المحسن محمد القاسم، الأولى1436هـ - 2015م، مكتبة الملك فهد الوطنية الرياض.
4- التحرير والتنوير (تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد)، محمد الطاهر عاشور، الدار سحنون للنشر– تونس 1997م.
5- التخلف الاجتماعي (مدخل إلى سيكولوجية الإنسان المقهور)، مصطفى حجازي، المركز الثقافي العربي 2005، الدار البيضاء المغرب، التاسعة.
6- تفسير القرآن العظيم (تفسير ابن كثير)، عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن عمر ابن كثير (ت 774هـ)، تحقيق سامي بن محمد سلامة، دار طيبة، بيروت - لبنان، ط الثانية 1999م.
7- التفسير الوسيط للقرآن الكريم، محمد سيد طنطاوي، دار نهضة مصر - القاهرة، الأولى (1997 -1998م).
8- التنوير (شرح الجامع الصغير) أبو إبراهيم محمد بن إسماعيل الصنعاني (ت 1182هـ)، تحقيق محمد إسحاق محمد إبراهيم، مكتبة دار السلام، الرياض - الأولى (1432هـ - 2011م)
9- جامع البيان عن تأويل آي القرآن (تفسير الطبري)، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري (ت 224 - 310هـ)، ت محمود محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط الأولى 2000م.
10- الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي)، أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي (ت 671هـ)، دار إحياء التراث العربي – بيروت1985م -.
11- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني (تفسير الألوسي)، أبو الفضل شهاب الدين السيد محمود الألوسي (ت 1270هـ)، ت علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية - بيروت لبنان، ط الأولى 1415هـ - 1994م.
12- عبقرية عمر، عباس محمود العقاد، العاشرة 2006م، شركة نهضة مصر للطباعة والنشر.
13- المستطرف في كل فن مستظرف، شهاب الدين محمد الأبشيهي (ت 850هـ)، دار الكتب العلمية.
14- معجم المعاني، محمد بن إبراهيم الأصبهاني (أبوبكر ابن المقرئ)، دار الكتب العلمية بيروت - لبنان.
15- مفاتيح الغيب (تفسير الرازي التفسير الكبير)، أبوعبدالله محمد بن عمر التيمي (فخر الدين الرازي ت 606هـ)، دار الكتب العلمية بيروت - لبنان، (1421هـ - 2000م)، ط الأولى.